

الملخص

ترافق بروز ظاهرة الأقليات على الصعيد العالمي، وما صاحبها من صراعات، بحدوث مجموعة من المتغيرات العالمية يقف في مقدمتها إنهيار الاتحاد السوفياتي وإنتهاء الحرب الباردة، إضافة إلى ما أصبح يعرف بالعولمة وما تتميز به من تعليم لأسس الليبرالية التي صبغت الاقتصاد العالمي وال العلاقات الدولية. فلم يترب على إنهايار الاتحاد السوفياتي إنتهاء الحرب الباردة ذهاب عهد نظام عالمي ثانوي القطبية ومجيء نظام عالمي جديد فحسب، بل إن المرحلة الجديدة وضعت العالم أمام مفاهيم ثقافية وسياسية وإقتصادية جديدة، أثرت على العلاقات والإنتماءات داخل الدولة، ما عكس نفسه على الهوية بمفهومها وأسسها. وقد تكون هذه المتغيرات بجملها ساهمت بشكل أو بأخر في إبراز موضوعة الأقليات وما يدور حولها من صراعات وتحركات على صعيد الدول الحاضنة لها من جهة، وعلى صعيد الأقليات ذاتها من جهة أخرى.

أما ظاهرة الأقليات في العالم العربي، فتبرز خصوصيتها عند تناولنا التفاصيل المتعلقة بأسباب بروزها مؤخراً، وذلك لحداثة إستقلال الدول العربية من جهة، ولتعدد الأسباب التي ساهمت في بروزها أو التي مهدت لذلك من جهة أخرى. فلا زالت الأمة العربية تعيش موروثاً إستعمارياً تاريخياً لم يزل ماثلاً في حاضرها، والذي يشكل عامل ليس من السهل التطرق لحاضر الأقليات في العالم العربي بمعزل عن ما يحتويه من تركة. فقد كان العالم العربي مسرحاً للتدخلات الثقافية والاجتماعية والإقتصادية عبر الطوائف وبعض الأقليات التي تم ربطها ثقافياً وإقتصادياً في أواخر عهد الدولة العثمانية ومرحلة إستعمار المنطقة العربية من الدول الغربية. كما أن قيام الكيان الصهيوني عام 1948 شكل عامل مكملاً لما بدأه الإستعمار في المنطقة من تقسيم وتفتيت، لما يقوم به من دور في إثارة وتحريض الأقليات في المنطقة بهدف وضع العراقيل أمام وجود كيان عربي موحد، والمساهمة في تحويل الخارطة العربية إلى دواليات للإثنيات تكون إسرائيل واحدة منها.

ولكن وعلى الرغم من أهمية مساهمة التدخلات الخارجية في إبراز ظاهرة الأقليات في العالم العربي، إلا أن هناك أسباباً داخلية لها علاقة بالنظامين السياسي والإجتماعي للسائدين، تعتبر الأهم كعامل وراء بروز الأقليات في العالم العربي. فطبيعة الحكم في البلدان العربية وما خلف من آثار على البناء السياسي والإجتماعي، جعل من

الآليات بؤر توتر دائمة. كما خلق من تلك البؤر بما تشكله من نقاط ضعف في النسيج العربي، مناطق إستقطاب التدخلات الخارجية.

فالمجتمع العربي يملك مواصفات من التنوع والتعدد الثقافي قد تكون "كالسلاح ذو حدين"، إذ من الممكن أن يكون هذا التنوع والتعدد مصدراً لتطوره وقوته ولذلك شروط وأسس. ويمكن أن يشكل من ناحية أخرى مصدراً للتفتت والتقسيم وحتى الدمار، إذا لم يوضع الإطار المناسب لإحتواء ذلك التنوع والتعدد.

فقد جاءت خصوصية مجموعة "القبائل" الثقافية، دونا عن مجموعات البربر الأخرى في الجزائر، وكواحدة من إقليات العالم العربي، إحدى نتائج ما عملت الدولة الجزائرية، بما حملت من مواصفات على إبرازه منذ استقلاله في العام 1962م. تلك المواصفات التي تسببت في خلق حالة من عدم الوفاق الوطني، ساهمت بمجملها في توفير التربة المناسبة لبروز الخصوصية الثقافية للقبائل، ضمن ما أصبح يعيشه الواقع الجزائري من إقسام وتفتت، وضعف الأطر الشرعية الموحدة. فلم يكن واقع القبائل في الجزائر، إلا جزءاً من الواقع الجزائري برمته، بما وقع عليه من متغيرات وتحولات، عبر المراحل المختلفة التي سجلت تراكماً وتصاعداً لمجموعة من إشكاليات الدولة، التي كانت وراء تصاعد التباعد ما بين الدولة، ومكونات المجتمع الجزائري، آخذة أكثر من شكل، كانت الخصوصية الثقافية للقبائل واحدة منها.